الفصل الثانى

أصول من التراث الغربى

١ - الأصول اليونانية.

٢ - الأصول الإنجليزية.

obeikandl.com

١ - الأصول اليونانية

تمهيـــد :

هناك دلائل عديدة تشير إلى تأثر حالى بالنقد الغربى وخاصة النقد الإنجليزى، ويتضح ذلك من ذكره لكم هائل من الشعراء والنقاد الإنجليز واليونانين واستعانته بآرائهم النقدية فى توضيح أفكاره النقدية التى يعرضها لأول مرة فى اللغة الأردية، ويتبادر إلى الذهن سؤال هام هو هل تأثر حالى بالنقاد الإنجليز تأثراً مباشراً أى عن طريق قراءة أعمالهم الأدبية والنقدية باللغة الإنجليزية مباشرة أم عن طريق قراءة ترجمات هذه الأعمال باللغة الأردية؟

من الثابت أن حالى لم يكن يعرف اللغة الإنجليزية ولم يتعلمها كما ذكر فى مقالاته أكثر من مرة(١)، كما اعترف بذلك فى ترجمته(٢) لحياته، لأن هذه اللغة كانت فى نظر أهل بلدته پانى پت تمثل لغة المحتلين الذين قضوا على الحكم الإسلامى لذا تجنبوا تعلمها وعملوا على تحقيق هذا الهدف بفتح المدارس الدينية التقليدية التى تدرس الدين الإسلامى واللغة العربية والفارسية وكانوا ينظرون بعين الاحتقار لمن يقدم على تعلم هذه اللغة وواكب هذا النفور من اللغة الإنجليزية ظهور حركات إسلامية كثيرة تدعو إلى عدم الإقبال على هذا التعليم الإنجليزى.

وهناك دليل آخر على أن حالى لم يدرس اللغة الإنجليزية ولم يعرف آدابها فى مقدمة «مجموعة نظم حالى» حيث يقول: «لم أكن أعرف قواعد الشعر الغربى وأصوله أثناء إقامتى بلاهور ولم أعرفها الآن وأرى أن لغة نامية مثل اللغة الأردية لا تستطيع أن تقلد الشعر الغربى بطريقة كاملة... وليس هناك شيء آخر فى شعرى يدل على تقليدى للشعر الإنجليزى والخروج على طريقة الشعر القديم»(٣) إذا كيف تأثر حالى بالنقاد الإنجليز؟.

عندما رحل حالى إلى دهلى لإكمال تعليمه وشحذ قريحته الشعرية بالقراءات

(١) حالى: كليات نثر حالى: ٢/ ١٣٢١، ٢٣٨، ٢٦٨.

(٢) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(٣) حالى: مقدمة مجموعة نظم حالى ضمن كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٥٣.

والثقافات المختلفة التى كانت تعج بها دهلى فى ذلك الوقت ومقابلته للشاعر أسد الله غالب واتخاذه أستاذًا له، بدأ يشتهر كشاعر جديد حينئذ بدأ فى التعرف على رجالات الفكر والثقافة والسياسة فى عصره والتقى بالسير سيد أحمد خان الذى كان يدعو إلى الغب من فيض الغرب وتعلم علومه بالإضافة إلى وجود مفكرين وأدباء تعلموا فى كلية دهلى العلوم الحديثة مثل محمد حسين آزاد ونذير أحمد وغيرهم وبدأت حركة ترجمة واسعة فى جامعة البنجاب للكتب الإنجليزية فى النقد والشعر والأدب الإنجليزى وخاصة عندما سنحت له الفرصة لتصحيح هذه الترجمات وبدأ حالى يتأثر بالآراء والأفكار الغربية ولكن كان تأثيرًا طفيفًا لم ينجرف معه إلى المدارس النقدية والتيارات الأدبية السائدة فى أوربا آنذاك وازدهار حركة الرومانسيين وثورتهم على المدرسة الكلاسيكية فى الأدب والشعر وحمل لواء الرومانسية شعراء كبار أمثال وردزورث وكولردج، فقد كان حالى على يقين تام بأن هذه المدارس النقدية لا تصلح للغة نامية وليدة كالأردية ولاختلاف موضوعات الشعر بين الآداب الشرقية والغربية ولذلك نراه يركز على القضايا التى تتفق مع المزاج الشرقى مثل الصدق والحقيقة والبساطة وهى أساسيات فطرية وصفات مجردة موجودة فى جميع الآداب العالمية.

حالى والنقد اليونانى:

تتلخص الأفكار التى أخذها حالى من النقد اليونانى فيما يلى:

١ – فكرة طرد أفلاطون للشعراء من جمهوريته المثالية لتعمدهم الكذب على الآلهة وهذه الفكرة فى حد ذاتها تعتبر أحد الآراء التى قيلت فى ذم الشعر.

٢ – فكرة «نظرية المحاكاة الأرسطية» وهى أهم فكرة أخذها حالى من النقد اليونانى، لأن حالى حاول شرح هذه النظرية لأول مرة فى النقد الأردى، وفى مقدمة شعر وشاعرى تناول حالى نظرية المحاكاة وعلاقة الشعر بالفنون الجميلة وكان حالى بذلك أول من آثار هذا الموضوع فى النقد الأردى.

وأشار حالى فى «مقدمة شعر وشاعرى» إلى العديد من كتب النقد والشعر اليونانية والإنجليزية التى استفاد منها ونقل عنها الآراء النقدية التى كانت بمثابة الأداة التى استعان بها فى بلورة أفكاره النقدية التى طرحها فى المقدمة ومن هذه الكتب:

١ - جمهورية أفلاطون:

وقد أشار حالى إليها فى موضعين، الموضع الأول عندما تحدث عن الآراء التى قيلت فى مدح الشعر وذمه وذكر رأى أفلاطون فى الشعر والشعراء وأنه «أسس لليونان جمهورية مثالية أكد فيها أهمية جميع الحرف وأربابها ماعدا الشعراء»[١] وقد طردهم أفلاطون من جمهوريته لتعمدهم الكذب على الآلهة بتصويرهم بصور لا تليق بهم وأكد أفلاطون على ألا نعلم الأطفال والنشىء هذا الشعر[٢]. ثم يعود حالى فى الموضع الثانى من مقدمته ويستنكر ما فعله أفلاطون بالشعراء بالرغم من ميل حالى إلى الجانب الأخلاقى، وبالتالى يكون هناك مجتمع تأسس على البرودة والأنانية والبعد عن المرؤة ولا يقوم بأى عمل ناتج عن الحماس والعاطفة القلبية»[٣].

٢ - فن الشعر لأرسطوطاليس:

عقد حالى باباً فى مقدمته بعنوان «ماهية الشعر» تحدث فيه عن نظرية المحاكاة الأرسطية فقال يقولون إن «الشعر كما قيل فيه من ألفى عام هو نوع من المحاكاة التى تتشابه فى كثير من الوجود بالرسم والنحت والمسرح غير أن محاكاة الرسام وعمل النحات وأداء الممثل المسرحى أكمل قليلاً من محاكاة الشاعر فمن أى شىء صنعت آلة الشعر؟ صنعت من قطع صغيرة من الألفاظ وهذه الألفاظ وأن استخدمها الصناع المهرة مثل هومر ودانتى فإنهما لا يستطيعان أيضًا رسم الأشياء الخارجية بطريقة جيدة فى مخيلة السامعين كما تتضح هذه الصور فى ذهننا برؤية العمل الذى يقوم به الإزميل والفرشاة لكن ميدان الشعر أوسع فلا تستطيع هذه الفنون الثلاثة أى المسرح والرسم والنحت أن تصل إلى رحابته، فالمثال ينقل الصورة عن طريق النحت فقط والرسام يضيف إلى الصورة بريق الألوان والممثل المسرحى يخلق الحركة بالإضافة إلى اللون والصورة بشرط أن يهيئ له الشاعر الألفاظ المناسبة فالشعر يستطيع أن يؤدى الدور الذى تقوم به تلك الفنون الثلاثة فى محاكاة الأشياء الخارجية وأنه يتفوق عليهم بسيطرته على مملكة الشعر التى تكمن فى داخل الإنسان فقط ولا يستطيع أن يصل إليها فن الصور أو النحات أو الممثل المسرحى وغيرها من الفنون الجميلة يستطيعون أن يظهروا

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢.

(٢) أفلاطون: جمهورية أفلاطون ترجمة فؤاد زكريا ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٣) حالى: المرجع السابق ص ١٤.

عواطف الإنسان وعاداته بالقدر الذى يظهر من الحركة واللون والصورة وهذه نماذج ناقصة دائمًا وخادعة للنظر وللكيفيات التى توجد فى باطن الإنسان غير أن كيفيات النفس البشرية الدقيقة العميقة المتنوعة لا يمكن إظهارها بوضوح إلا عن طريق الالفاظ، فالشعر يستطيع أن يصور جميع الكون الخارجى والعقلى وجميع الأشياء التى توجد فى الواقع مثل عالم المحسوسات»[1].

وبذلك يكون حالى أول من تحدث عن نظرية «المحاكاة» الأرسطية فى الأدب الأردى وعلى الرغم من أنه لم يعرضها عرضًا دقيقًا كاملاً إلا أنه له الفضل فى إثارة هذا الموضوع لأول مرة فى الأدب الأردى، كما تحدث أيضًا عن علاقة الشعر بالفنون الجميلة (الرسم والنحت والتمثيل).

وقد تأثر حالى بهذه النظرية عن طريق النقاد العرب الذين تناولوا هذه النظرية بالتفصيل فى كتاباتهم النقدية مثل قدامة بن جعفر فى كتابة «نقد الشعر» فضلا عن شرح الفلاسفة المسلمين لهذه النظرية، بالإضافة إلى أن كتب النقد العربى القديم التى تناولت هذه النظرية كانت متوفره فى الهند قبل بداية حركة الترجمة فى جامعة البنجاب التى واكبت حركة على گرھ وكانت ثقافة حالى العربية تؤهله للاطلاع على هذه النظرية كما عرضها النقاد العرب القدماء.

وقد أشار حالى إلى علم اليونان وفلسفتها عندما أشار إلى قصة سولن (Solon) (٦٤٠ - ٥٦٠ ق.م) المقنن اليونانى الشهير وحث شعب أثينا على الاستيلاء على جزيرة سيلمس واستردادها من المجاريين الذين هزموهم واستولوا على الجزيرة فقام سولن بنظم شعر حماسى جعل شعبه يهب مرة واحدة ويسترد الجزيرة بعد أن ظلت فى أيدى المجاريين فترة من الزمن[2].

وقد جاء فى «مقدمة شعر وشاعرى» أسماء كثير من الشعراء اليونانيين عرضًا مثل: هوميروس صاحب الألياذة والأوديسا وارستوفان (٤٤٨ - ٣٨٠ ق.م) وسوفيكليس (٤٩٥ - ٤٠٦ ق.م) وبندار (٥١٨ - ٤٣٨ ق.م).

---

(١) حالى: المرجع السبق ص ٣٠ - ٣١.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٥.

الأصول الإنجليزية

رجع حالى فى مقدمة شعر وشاعرى إلى العديد من كتب الأدب والنقد الإنجليزى واستشهد بآراء النقاد والشعراء فى كثير من القضايا التى تناولها ولكن ما يلفت انتباهنا هذه المرة أن حالى لم يذكر المراجع التى نقل عنها هذه الآراء بل هو دائمًا يذكر عبارة «قال أحد المؤرخين الأوربيين» فى كل خبر ينقله فى المقدمة إلا أن يذكر شاعراً معروفًا مثل ميلتون أو مؤرخًا شهيراً مثل ميكالى، ولعل ذلك يرجع إلى عدم معرفة حالى للغة الإنجليزية. ونتيجة لعدم إلمام حالى بقضايا الأدب والنقد فى الغرب كان كثيراً ما يخطىء فى فهم هذه النصوص تارة ويعكس المعنى تارة أخرى وفى حين نراه يخطىء فى ترجمة المصطلحات النقدية إلى اللغة الأردية نراه يقتبس بعض النصوص والآراء المبتسرة بعد قطعها عن السياق ويقيم عليها آراءه ويطبق عليها نماذج من الشعر العربى والفارسى والأردى.

وفيما يلى سأتناول المؤثرات والأصول الإنجليزية فى مقدمة شعر وشاعرى مع محاولة ذكر الكتب والمصادر التى نقل حالها عنها.

١ – John Milton (١٦٠٨ – ١٦٧٤م). تأثر حالى كثيراً بآراء جون ميلتون واستشهد بآرائه فى أكثر من موضع فى المقدمة:

أ – عندما تناول حالى فى مقدمته العملية الإبداعية استشهد برأى ميلتون الذى يرى أن «الشعر ينظم ببذل النفس والجهد وغاية المشقة وأن بيت الشعر الواحد يخضع للعديد من التغييرات المتصلة والمتعاقبة قبل أن يظهر فى صورة جميلة»[١] وهذا الرأى ليس جديداً فقد تناوله النقاد العرب قبل ميلتون وقد ذكر حالى عدة آراء للعرب القدماء فى هذا الصدد.

ب – وفى موضع آخر من المقدمة يتساءل حالى عن الشروط الواجب توافرها فى الشعر الجيد فيذكر فى هذا الصدد وصف جون ميلتون للشعر الجيد والذى جاء فى كتابه «رسالة التعليم Tractate of Education وهو "Poetry is Simple" Sensuous and Passionate" أى أن الشعر الجيد هو أن يكون «بسيطًا،

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٢.

ومفعمًا بالإحساس والإنفعال»[١] أو بعبارة أخرى «بسيطًا، شعوريًا مؤثرًا»[٢]. وهذا سرد لبعض صفات الشعر وليس حدًا له، وقد عدل ميلتون عنه بعد ذلك وليس له أية أهمية فى الدراسات النقدية التى تناولت آراء ميلتون فى الشعر، ويبدو أن حالى لم ينقل رأى ميلتون هذا مباشرة من كتابه سابق الذكر بل اعتمد على أحد الكتب الكثيرة التى اهتمت بدراسة شعر ميلتون وحياته مثل كتاب "Lives of English poets"[٣] وغيره من كتب النقد والأدب مثل "Essayis in Criticism"[٤] لماثيو أرنولد الذى ذكر هذا القول فى مقالة عن جون كيتسى :John Keats وذكره فى مقالة عن ميلتون وقد أشار إليه كولردج Coleridge[٥] أيضًا.

وظن حالى لكثرة تردد قول ميلتون هذا على ألسنة كثير من النقاد والمحققين وفى العديد من الكتب التى ترجمت حياة ميلتون وآراءه فى النقد، أن هذا رأى ميلتون القاطع فى تعريف الشعر بعد أن قطعه عن سياقه وأقام عليه نظريته فى الشعر الجيد وحاول أن يذكر نماذج من الشعر الأردى والفارسى والعربى وصلت إلى ستة عشر نموذجًا من الشعر ليعرف مدى توفر شروط ميلتون الثلاثة هذه عليها أم لا تنطبق عليها.

وقد نجح حالى فى ترجمة الشرط الأول والثانى ولكنه أخفق فى فهم المعنى الثالث فهو يترجم مصطلح "Simple" إلى الأردية بـ «سادگى» أى البساطة و "Passionate" بـ «جوش» أى العاطفة و "Sensuous" بـ «اصليت» أى الصدق (الحقيقة) فأخطأ فى ترجمة هذه الكلمة. فلم يقصد ميلتون بها معنى الحقيقة Reality(*) فقط بل يقصد أن يكون الشعر حسيًا وبذلك ابتعد عما يقصده

---

(١) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبى: ص ٢٩٧.

(٢) ماثيو ارنولد: مقالات فى النقد، ترجمة على جمال الدين عزت جـ ١، ص ٨١.

- Milton, Modern Essays in Criticism. London, p. 3-14.

(٣) Samuel Johnson, Lives of English poests, pp, 37.

(٤) Math ewAr nold, Essays in Criticism, Second Seties. p. 83

(٥) محمد مصطفى بدوى: كولردج ص ٥٧ – ٥٨.

(*) Reality اى الحقيقة وبمعنى الواقعية كذلك، وتستخدم مع المصدر Realism (Joseph. T. Shipley. Dictionary of World Literary Terms London. 1955. P. 335 - 336.

ميلتون ويقول الدكتور أحسن فاروقى[١]: إن كولردج يرى أن تكون هذه الحسية مرتبطة بالحقيقة وليست قائمة على المبالغة» وقد حذف حالى كلمة الحسية واكتفى بالحقيقة لأنه لا يجرؤ على الترويج للحسية التى ترتبط بالشهوانية خاصة فى المجتمع الشرقى المحافظ ولعل هذا السبب هو الذى جعله يتغاضى عن هذه الكلمة ويكتفى بالمعنى الآخر وهو الحقيقة.

ويعرض كولردج الصفات الثلاثة التى اشترط الشاعر ميلتون توفرها فى الشعر الجيد قائلاً إن البساطة تميز الشعر عن عمليات التفكير العلمى الاستدلالى الشاقة بينما تحقق الحسية صفة الموضوعية والوضوح فى الصور التى بدونها يصبح الشعر إما صنعة جامدة ميتة وإما أحلام يقظة واهية باهتة، أما وجود العاطفة فيحول دون كون الشعر موضوعيًا حرفًا وينفخ فيه روحًا وحياة إنسانية[٢].

وقد ذكر الدكتور عبد القيوم أن مولوى أمير أحمد علوى قد ترجم هذه المصطلحات إلى الأردية كما يلى:

(سادگى، نازك خيالى اورتأثير)[٣].

جـ- عقد حالى بابًا فى المقدمة وقارن فيه بين تعريف ابن رشيق (الناشىء الأكبر) وشروط ميلتون للشعر الجيد فيقول: «يوجد فرق دقيق فى تعريف كل من ابن رشيق وميلتون للشعر ويجب علينا أن نمعن النظر فيه، فيفهم من تعريف ابن رشيق أن الشعر الجيد مرهون بكثرة حسن المصادفة فى نهاياته أى قوافيه والتى لا دخل لإرادة الشاعر فيها، فالشاعر لا يخبرنا عن طريقة نظمه للشعر الجيد بل يعرفنا بأن أى شعر من أشعار الشاعر يمكن أن يعتبر جيداً، أما ميلتون فيتوفر فى تعريفه كلا الجانبين، فمن تعريفه للشعر يعرف كلا الشرطين وهما أركان نظم الشعر الجيد ومعرفة الشعر الجيد كذلك وبالرغم من أن هذا ليس ضروريًا بأن مراعاة شروط ميلتون الثلاثة تضمن كونها (الأشعار) سهله ممتنعه دائمًا والتى أخبرنا ابن رشيق بمعيارها ولكن لاشك فى هذا الأمر وهو أن الشاعر الذى سوف يراعى شروطه فى شعره سوف نجد فى شعره لمعان البرق»[٤].

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٤١٧.

(٢) محمد مصطفى بدوى: كولردج ص ٥٧ - ٥٨.

(٣) عبد القيوم: المرجع السابق ص ٤٢٥.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٣.

د – وذكر حالى ميلتون عرضًا فى موضع آخر عندما يستشهد برأى اللورد ميكالى فى نظم الشعر بلغة غير اللغة الأم فيقول: إننا قلما نجد شاعرًا ينظم الشعر بلغة غير لغته الأم ويبرع فيها على المستوى الفنى اللائق ويذكر أن عددًا من الشعراء الإنجليز الكبار لهم دواوين شعر باللغة اللاتينية ولكنها فى مرتبة أقل من دواوينهم التى نظموها في لغتهم الأم وحتى ميلتون الذى نظم ديوان باللاتينية يعد أقل مرتبة من ديوانه الإنجليزى(١).

٢ – Thomas Babington Macaulay : اللورد ميكالى (١٨٠٠ – ١٨٥٩م).

وقد رجع حالى إليه أكثر من مرة فى مقدمة «شعر وشاعرى» واستفاد حالى كثيرًا من مقالات ميكالى المعروفة باسم "Essays" (٢) وخاصة فيما يتعلق بـ Mitton وحياة اللورد بيرون Byron .

أ – عندما تحدث حالى عن ماهية الشعر ذكر أن «ما قاله اللورد ميكالى فى حد الشعر ليس حدًا كاملاً»(٣). ثم يذكر ميكالى مرة أخرى عندما يستشهد برأيه فى تأثير شعر ميلتون(٤).

ب – ويسلم حالى فى موضع آخر من المقدمة برأى اللورد ميكالى فى نظم الشعر بلغة غير اللغة الأم للشاعر والتى يعرف قواعدها وأصولها ويتحدث بها فى حياته اليومية فيقول: «وعلى حد قول ميكالى فإن أى شخص لا يستطيع أن يأتى بأفكار وأشعار جيدة إلا فى اللغة التى يذكر منها شيئًا عن كيفية وأسباب تعلمها وظل يتحدث بها مدة طويلة من الزمن قبل أن يعرف نحوها وقواعدها» وذكر أن «كثيرًا من علماء إيطاليا ومشاهيرها قد نظموا الشعر باللغة الفرنسية ولكن لم يبق منه أى أثر يذكر على صفحة الزمن وقد رتب كثير من مفكرى إنجلترا ومواطنيها المطبوعون دواوين شعر باللغة اللاتينية ولكن لا يمكن أن يعتبر أى ديوان من دواوينهم من الطبعة الأولى من حيث فن الشعر، بل ولا يمتازون بشيء كذلك من مميزات الطبقة الثانية وكما أن ملكة الشعر شيء فطرى وغريزى فيجب أن يستخدم من أجلها الأداة

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٨٨.

(٢) Lord Macaulay: Essays (Crtical and Historical Essays) London; 1982.

(٣) حالى: المرجع السابق ص ٣٠.

(٤) حالى: المرجع السابق ص ٥٠.

الأكثر ملائمة والتى تكون للشاعر بمنزلة الأشياء الغريزية والفطرية وهى لا يمكن أن تكون أى لغة أخرى سوى لغتها الأم »[١].

٣ – عقد حالى باباً فى المقدمة ليؤكد على تأثير الشعر على الأمم المختلفة وذكر فيه أمثلة عديدة من الشعر العربى والفارسى والإنجليزى ومن الأمثلة الشعرية التى ذكرها حالى ليدلل بها على تأثير الشعر الإنجليزى هى :

أ – ذكر حالى مثالاً على تأثير شخصية الشاعر بيرون (١٧٨٨ – ١٨٢٤م) على أهل بلده وعلى الناس فى عصره حتى أنهم كانوا « يشترون صوره بشغف كبير ويحتفظون بكل شيء يذكرهم به بكل عناية ويحفظون أشعاره ويحاولون أن يقرضوا أشعاراً على منواله حتى أنهم كانوا يحبون أن يظهروا بمظهره وكثير من الناس كانوا يتدربون أمام المرآة ويضعون التجاعيد فوق شفاههم وجباههم مثلما يوجد فى بعض صور اللورد بيرون وقد بلغ بهم التقليد إلى هذه الدرجة بأن بعضهم قد تركوا لف المنديل حول رقابهم »[٢].

– وأشار حالى فى موضع آخر إلى قصيدته الشهيرة Childe harolds's"(*)" "Pilgrimage التى نشرها عام ١٨١٢م وذكر حالى أن بيرون حث الفرنسيين والروس والإنجليز فى هذه القصيدة على تحرير اليونان من الحكم التركى، كما حث اليونانيين على ضرورة الاعتماد على قوة سواعدهم وعدم عقد الآمال على الآخرين وأن يحرروا أنفسهم من عبودية الأتراك، وقد أثرت هذه القصيدة فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واستراليا وروسيا كما تؤثر النار فى البارد وعندما ثارت اليونان على تركيا وصلت الأساطيل الأوربية المشتركة لمساعدتها على الفور وفى سنة ١٨٢٧م هزم الأسطول الموحد تركيا وأجبرها على تحرير اليونان[٣].

وقد بالغ حالى كثيراً فى وصف تأثير هذه القصيدة العادية الذى جعلها السبب الأول فى تخلص اليونانيين من الحكم التركى مع أن الثابت تاريخياً أن تركيا كانت قد أصابها الوهن بسبب اتساع امبراطوريتها وكثرة الحروب التى خاضها

---

(١) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٨٨ .

(٢) حالى : المرجع السابق ص ٤ .

(*) أى رحلة حج الطفل هارولز.

(٣) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢٦ .

جيشها فضلاً عن تكفل أساطيل الدول الأوربية الأخرى مع اليونان وضدها.

ب - أشار حالى أيضًا إلى دور الشعر والشعراء فى إثارة حماس أهل ويلز ضد الجيش الإنجليزى، فعندما أغار الملك إدوارد على ويلز فإن شعراءويلز بدأوا فى قرض أشعار حماسية تأييداً للحماس القومى حتى يثيروا حمية أهل ويلز - على الرغم من أن أهل ويلز لم يكن لهم أى شأن أمام الجيش الإنجليزى إلا أن أشعار شعراء ويلز الحماسية أثارت فيهم حمية حب الوطن.. ولاقى الملك إدوارد كثيراً من الرفض والمقاومة بسبب أشعار الشعراء حتى أنه بعدما انتصر أمر بقتل جميع شعراء ويلز ونسابيها، ومع أن نتيجة الشعر كانت وبالاً على شعراء ويلز ولم تعد بأى فائدة عليهم لكن يتضح جيداً من هذا الحدث مدى تأثير الشعر وإعجازه[١].

جـ - ذكر حالى أيضًا دور الشعر وتأثيره فى قيام الثورة الفرنسية، فعندما بدأ ملك فرنسا شارل العاشر عام ١٨٣٠م باتخاذ الإجراءات ضد قانون الحرية وانتشرت الاضطرابات والقلائل الشديدة بين سكان فرنسا نُظم فى ذلك الوقت قصيدتين هما: «القصيدة الباريسية» و«القصيدة المرسيلية» والأخيرة هى نشيد المارسليز Lamarseillaise الذى نظمه[٢] Rouget del, isle وقد ذكرهما حالى مترجمتين إلى اللغة العربية ترجمة[٣] رفاعة الطهطاوى.

د -أشار حالى إلى تأثير مسرحيات شكسبير فيقول إن «الناس فى أوربا قد استغلوا الشعر فى تحقيق أغراض عظيمة سامية وخاصة الشعر المسرحى فقد حصل الأوربيون بسببه على فوائد عظيمة من الصعب تقديرها وبهذه الطريقة استفاد الأوربيون كثيراً من مسرحيات شيكسبير فى الموضوعات المختلفة سياسية واجتماعية وأخلاقية ولا يعتبرونها أقل درجة من الإنجيل وحتى الناس الذين تحرروا من قيود الدين كانوا يعتقدون أنها أكثر نفعًا من الإنجيل»[٤].

ويبدو أن حالى قد تأثر كثيراً بشراح شيكسبير الذين يرون الجانب الأخلاقى

---

(١) حالى: المرجع السابق ص ٦.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧.

(٣) انظر الترجمة العربية لهما فى مقدمة شعر وشاعرى ص ٧.

(٤) حالى: المرجع السابق ص ٧.

أكثر وضوحًا فى مسرحياته ولقى ذلك قبولاً واستحسانًا لدى حالى خاصة وهو يدعو إلى هذا الجانب فى الشعر، بيد أن مسرحيات شيكسبير تحتوى على وجهات نظر متعددة وتحتوى أيضًا على عنصرى الخير والشر ولذلك أخطأ حالى فى مقارنتها بالإنجيل لأن الجانب الأخلاقى شيء طبيعى وضرورى فى كتابته، أما المسرحيات فتحتمل الصدق وتحتمل الكذب.

٤ – وفى باب عقده حالى لبيان عظمة الشعر استشهد فيه بكلام أحد الأوربيين فى الشعر فيقول « إن الشعر ينبه قوى النفس النائمة بسبب الإنهماك فى المشاغل الدنيوية وإنه يجعل عواطفنا البريئة فى مرحلة الطفولة المنزهة عن تلوث المصلحة ناضرة يافعة، أخرى ولاشك أن التدريب وممارسة الأعمال الدنيوية يضاعف من حدة العقل ولكن يموت القلب تمامًا فحينما يسعى الإنسان فى حالة الفقر ويبحث عن قوته ليسد رمقه أو فى حالة الغنى يبحث عن الجاه والمنصب ويرى الأنانية فى كل مكان فإنه يواجه مشاكل جسيمة لو لم يكن لديه وسيلة للترفيه عن القلب والحفاظ على نضارته التى تقوم بعملها بكل هدوء وصمت بصورة قوية بحيث يقوم بعمل المرهم في حالة الفقر والإكسير فى حالة الغنى وقد أودع الله هذه الخاصية فى الشعر بحيث يخرجنا عن دائرة المحسوسات ويمنحنا السيطرة بأحوالنا الماضية والقادمة على حاضرنا، فليس تأثير الشعر على الأخلاق بالعقل فقط بل يؤثر عليه عن طريق الإدراك والذهن فكل شعب يستطيع أن يكتسب الأخلاق الفاضلة من الشعر طبقًا لسمو إدراكه وجودة عقله... »[١].

فهذه العبارة الطويلة التى نقلها حالى ليدلل بها على عظمة الشعر هى ترجمة حرفية لرأى جون ستوارث مل (١٨٠٦ – ١٨٧٣) John Stuart Mill من مقال له عن الشاعر ورد زورث[٢] وقد نقلها حالى دون أن يفهم أنها توضح خصائص شعر ورد زورث فقط ولكن حالى قد عمم هذا الرأى على جميع الشعراء.

٥ – أشار حالى إلى تشبيه الشعر بـ « الفانوس السحرى » وذلك فى موضعين من المقدمة، الموضع الأول يقول فيه: « وقد شبه البعض فى عصرنا الحديث بالفانوس السحرى بحيث إن الفانوس السحرى يظهر جماله وسحره أكثر حينما يكون مضيئًا فى

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٤.

(٢) محمد أحسن فاروقى: مطالعه حالى ص ١١٧.

حجره شديدة الحلكة، فهذا الشعر يظهر فى عصور الجهل والظلام ويزداد جمالاً وبهاء»[١] وذكر حالى هذا التشبيه مرة أخرى فى المقدمة عندما تحدث عن ازدهار الشعر فى عصور التقدم والحضارة وانحطاطه فى عصور الجهل والظلام فيقول: «إن عدم التحضر يرخى سدوله على الشعر كما يلقى الفانوس السحرى أثره على العيون فكما أن منظر هذا الفانوس يصل إلى ذروة الكمال فى الحجرة المظلمة فالشعر يظهر عجائبه فى العصور المظلمة، فإن جميع مظاهر الفانوس وملامحه تختفى بمجرد مجىء الضوء (ضوء الصباح)[٢].

وهذا التشبيه للشعر بالفانوس السحرى كان شائعًا بين علماء الطبيعة فى أوربا فى عصر النهضة وقد أصبح هذا التشبيه بلا قيمة فى النقد الأدبى الحديث.

٦ - تحدث حالى[٣] عن التجديد فى الشعر وأشار إلى أن الشاعر الذى يقوم بأى محاولة للتجديد فى الشعر وترك المذهب الشعرى الذى يسير عليه قومه ليس عملاً سهلاً بل يجعله يواجه مشكلات صعبة من أهل وطنه الذين تعودوا على طريقة الشعر القديم بما فيه من مبالغة وكذب ويضرب مثلاً على ذلك بما لاقاه الشاعر الإنجليزى جولد سميث (١٧٣٠ - ١٧٧٤) Gold Smith من صعوبات فيقول: «لقد واجه جولد سميث نفس المشكلات عندما ترك مذهب شعراء وطنه القدماء الذى كان قائمًا على الكذب والمبالغة واعتنق مذهب الشعر الطبيعى الصادق» ثم يذكر حالى له قصيدة يوجه فيها خطابه إلى شعره الجديد موضحًا فيها للمشاكل والعقبات التى يواجهها وهذه القصيدة بعنوان "The Desertd Village" يقول فيها يا شعرى العزيز أنت أول هارب من مجالسهم حيث تطغى النزوات والشهوات النفسية فأنت ملام فى كل مكان فى هذا الزمن الوغد فبدلاً من أن تميل القلوب ناحيتك وأنال شهرة نزيهة فإننى أشعر بالخجل بسببك فى المجالس العامة، لكننى أفخر بكم عندما أكون بمفردى فأنت مرشد طالبى الكمال وحاضنى التقوى فليحفظك الله لتنافسهم أينما انتقدوك أو اعترضوا عليك فى أى مكان فى العالم....» وهذه القصيدة شهيرة وترجم حالى الجزء الأخير منها إلى الأردية والذى ينص فيه الشاعر طغيان النزوات الحسية على المجتمع وليس كدليل على فساد الشعر فى عصره كما

---

(١) حالى: المرجع السابق ص ٢.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ١٢.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢٦.

فهم حالى.

٧ – وقد تأثر حالى بالنقد الإنجليزى فيما يتعلق بأهمية الوزن للشعر فيرى أن «الوزن للشعر كالكلمات للموسيقى وكما أن اللحن فى ذاته غير محتاج للألفاظ فإن الشعر أيضًا لا يحتاج إلى الوزن ومن هذا المنطلق فإن هناك كلمتين مستعملتين فى اللغة الإنجليزية إحداهما Poerty والأخرى Verse وأيضًا يستعملون عندنا لفظين هما «الشعر» و«النظم» وكما عندهم شرط الوزن ضرورى للـ Verse وليس ضروريًا للـ Poetry فينبغى أن يعد الوزن شرطًا ضروريًا للنظم وليس للشعر عندما أيضًا»(١) ولعل دعوة حالى هذه بعدم الالتزام بالوزن قد تأثرت بدعوة الرمزيين، فقد أراد هؤلاء الرمزيون أن يجددوا فى أوزانهم فى لغاتهم الأوربية وأن يتخلصوا من سلطان القافية وعندهم أن الوحدة الحق هى وحدة الشعور والإحساس ويجب تطويع الكلمات والتعبيرات لتلائم الفكرة فى التجربة أو الشعور المختمر ولهذا لابد من تحطيم القوالب الرتيبة لتغيير الوحدة الموسيقية مع تغير العبارة، وتتنوع بتنوع الإحساس، فالموسيقى جوهر الشعر وأقوى عناصر الإيحاء فيه والموسيقى تنبعث من وحدة الدافع فى الجملة على حسب الشعور الذى يعبر عنه وتطابق الشعور مع الموسيقى المعبرة عنه هو ما يؤلف وحدة القصيدة كلها، ولا ينبغى أن تكون هذه الموسيقى رتيبة بحال لأنها تعبيرية إيحائية تضفى على الكلمات أقصى ما يستطاع التعبير عنه من معنى وتتنوع من وزن إلى وزن على حساب الحاسة الفنية للنغمات عند الشاعر نفسه فى القصيدة الواحدة فوحدة الإيقاع فى تغير – فى نفس التجربة الشعورية – على حساب ما يمكن فيها من قوى تعبيرية تكشف عن خلجات النفس، والكلمات أصوات ودلالة الأصوات موسيقى إيحائية قبل أن تكون تعبيرية وصفية، والشاعر الحق هو من يستطيع أن يروى من نبع هذه الدلالات الموسيقية الأصيلة فى اللغة(٢).

وعلى الرغم من أن حالى قد هون من أهمية الوزن للشعر، إلا أنه لم يرفضه تمامًا فيرى أنه «لاشك أن جمال الشعر وتأثيره يتضاعف باستخدام الوزن وقد كتب أحد الباحثين الأوربيين أنه على الرغم من أن الشعر لا يتقيد بالوزن وأن الشعر كان فى أول الأمر خاليًا من هذه الزينة لمدة كبيرة فلاشك أن تأثر الشعر بالوزن يصير أكثر

(١) حالى: المرجع السابق ص ٢٧.

(٢) محمد غنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث ص ٤٤٠ – ٤٤٦.

وحدة وسحراً وأعظم نفعاً وتأثيراً»(١).

على أن الرمزيين لم يقضوا على استعمال الأوزان القديمة بل أباحوا للشاعر أن ينظم أو ينوع فيها وله كذلك أن يخترع أوزاناً - ما بداله - على الأساس السابق ولكنهم لم يحتموا عليه ذلك، فالموسيقى رهينة بتجربته كما يراها الشاعر على أن الرمزيين لم يقضوا على استعمال الأوزان القديمة بل أباحوا للشاعر الأوزان القديمة، وكثير من المعاصرين منهم يلتزمون القيود التقليدية فى الأوزان فى كثير من قصائدهم(٢).

٨ - وقد دعا حالى أيضاً إلى التخلص من قيود القافية بتأثير من الدعوات التى صدرت من الغرب فيقول: تعتبر القافية لدينا كذلك لازمة للشعر مثل الوزن غير أن القافية فى الحقيقة ضرورية للنظم وليس للشعر... وقد راج فى أوربا فى الوقت الحاضر الـ Blank Verse، أى الشعر غير المقفى أكثر من المقفى ومع أن القافية أيضاً تزيد من حسن الشعر مثل الوزن ويتلذذ اللسان بقراءته وتستمتع آذان السامعين به إلا أن القافية وخاصة عند شعراء العجم الذين كبلوا بها الشعر بقيود صارمة للغاية ثم أضافوا عليها الرديف فإنها بلاشك تثنى الشاعر عن أداء واجبه ووظائفه(٣).

وقد هون الرمزيون من قيمة القافية فنادوا بإهمالها، أو اكتفوا بتقارب فى الأصوات الأخيرة فى الأبيات التى تتوافق فيها ولم يهتموا كذلك بأن يكون للبيت مصراع بل يكون وحده كله وكانت لهذه الدعوة أثرها على الآداب الشرقية فظهرت الدعوى إلى الشعر المنثور أو الحر الذى لا يلتزم بوزن اصطلاحى ولا قافية فالثورة على الوزن والقافية بدأت منذ القديم فقد مل الشعراء النظم على وتيرة واحدة فى القصائد وتاقوا إلى التنويع والتجديد فكانت الموشحات العربية ثورة على نظام القصيدة فى الأوزان والقوافى(٤).

وكان حالى أول من نادى بهذه الثورة على نظام القوافى والأوزان القديمة فى الأدب الأردى وبدأ الشعراء الأرديون بالفعل النظم فى الشعر الحر أو المنثور ولكن هذه التجربة سوف تأخذ وقتاً طويلاً من الزمن لكن تثبت الأيام صدق دعوة حالى أو عدم مصداقيتها ويستطيع النقاد تقييمها.

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢٨.

(٢) محمد غنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث ص ٤٤٦.

(٣) حالى: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٤) محمد غنيمى هلال: المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٤٦.

٩ – تأثر حالى كذلك بكتاب Lives of the English Poets للناقد الإنجليزى Samuel Johnson ورجع إليه فى مواضع عديدة فيذكر حالى السير والترسكوت (١٧٧١ – ١٨٣٢) Sir walter scott، وتجربة الدقة فى نظم شعره فذكر أنه « يعد من كبار شعراء الإنجليز ويتميز بميزتين فى بعض قصائده، الميزة الأولى هى عدم التجاوز عن الحقيقة، والثانية عرضه لكل معنى من المعانى بأساليب مختلفة جديدة ففى أى مكان صور فيه جو الحديقة أو الجهل أو الغابة يظهر منه أنه قد انتخب جميع المميزات التى كانت روحاً للمكان (للمنظر)[١]، وقد تأثر حالى برأى جونسن عندما شرح معنى « الشعراء الطبيعى » فيقول: إن « المقصود من شعر الطبيعة هو الشعر الذى يطابق الطبيعة أى النظرة والعادة من ناحيتى اللفظ والمعنى، والمقصود من مطابقة اللفظ للطبيعة هو أن يكون ألفاظ الشعر وجملة وتراكيبه وتعبيراته موافقة للغة الحديث العادية التى نظم بها الشعر بقدر الإمكان لأن لغة الحديث العادية اليومية فى كل لغة تكون فى حكم الطبيعة أو الطبيعة الثانية للناس الذين يتحدثونها فلذا كلما يكون الشعر بعيداً عن اللغة اليومية ولغة الحديث العادية بلا داع فسوف يعتبر شعراً غير طبيعى والمراد من مطابقة المعنى للطبيعة هو بيان تلك الأمور فى الشعر كما حدثت فى الواقع أو كما ينبغى أن تحدث أما معنى الشعر الذى يكون عكس هذا فإنه سيعتبر غير طبيعى[٢].

وهذا المعنى أخذه حالى من كتاب جونسن[٣] على الرغم من أنه لم يكن جديداً فقد تناوله النقاد العرب هذه النقطة جيداً فى كتبهم وخاصة ابن قتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء »، وكان حالى أول من دعا إلى مذهب الطبيعة في الشعر الأردى والتخلص من التقيد بالمحسنات البديعية واللفظية فى الشعر.

١٠ – ويبدو أن حالى قد تأثر بنظرية الخيال عند كولردج Colerdge فهو يقول فى المقدمة معرفاً للخيال، بأنه « هو القوة التى تمنح صورة جديدة بعد إعادة ترتيب ذخيرة المعلومات والتجارب والمشاهد التى تكون موجودة فى الذهن من قبل ويظهر هذه الصورة بالكلمات فى أسلوب جذاب مختلف إلى حد ما عن الأساليب العادية[٤].

---

(١) حالى : المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) حالى : مقدمة شعر وشاعرى، ص ٧٩.

(3) Samuel Johnson: Lives of the English poets, Vol II, PP. 347 - 348.

(٤) حالى : المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٥.

وهذا التعريف للخيال ذكره كولردج فى كتابه(١) Biographia Literaria، فيقول: «إننى أعتبر الخيال إذن إماً أولياً أو ثانوياً، فالخيال الأولى فى رأيى القوة الحيوية أو الأولية التى تجعل الإدراك الإنسانى ممكناً وهو تكرار فى العقل المتناهى لعملية الخلق الخالدة فى الأنا المطلقة، أما الخيال الثانوى فهو فى عرفى صدى للخيال الأولى غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية، وهو يشبه الخيال الأولى فى نوع الوظيفة التى يؤديها ولكنه يختلف عنه فى الدرجة وفى طريقة نشاطه، وأنه يذوب ويتلاشى ويتحطم لكن يخلق من جديد وحينما لا تتسنى له هذه العملية فإنه على الأقل يسعى إلى إيجاد الواحدة وإلى تحويل الواقع إلى المثالى، أنه فى جوهره حيوى بينما الموضوعات التى يعمل بها (باعتبارها موضوعات) فى جوهرها ثابتة لا حياة فيها»(٢).

ويصف كولردج الخيال الثانوى بقوله: «هو القوة التى بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صوراً وأحاسيس (فى القصيدة) فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر وهذه القوة تظهر فى صورة عنيفة قوية - وهذه القوة هى أسمى الملكات الإنسانية، تتخذ أشكالاً مختلفة منها العاطفى العنيف ومنها الهادىء الساكن ففى صور نشاطها الهادئة التى تبعث على المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة بينما تفتقد هذه الوحدة فى وصف الرجل العادى الذى لا تتوفر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء إذ نجده يصفها وصفاً بطيئاً الشىء تلو الشىء بأسلوب يخلو من العاطفة، وهذه الوحدة التى تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التى تخلقها الطبيعة ذاتها التى هى أعظم الشعراء جميعاً»(٣).

ولعل تأثر حالى بدور الخيال فى العملية الشعرية أعمق عندما تأثر بآراء الفلاسفة المسلمين فى وصف الخيال ووظيفة الخيال ومكانته بين القوى الإنسانية فيرى أن «الخيال أو القوة المتخيلة والذى يطلقون عليه فى الإنجليزية اسم Imagination هو الشىء الأولى والضرورى والذى يتميز به الشاعر عن غير الشاعر، فعندنا تتوفر هذه القوة بشكل تام لدى شاعر يكون شعره على درجة كبيرة من الجودة، وعندما تقل هذه القوة يكون شعره رديئاً وهذه ملكة فطرية يولد بها الشاعر ولا يستطيع أن ينالها بالاكتساب.. وقوة الخيال هذه تحرر الشاعر من قيد الزمان والوقت وتقرب الماضى والمستقبل إلى الحال «ويجب على الشاعر ألا يترك العنان لخياله فيجول فى كل مكان فلا يستطيع التحكم

---

(١) Colerdge, Biographia Literaria Vol. I. P. 200 - 202.

(٢) محمد مصطفى بدوى: كولردج، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) Colerdge, Shakseperean Criticism Vol: L. PP. 212, 213.

فيه بل يجب عليه أن يستعين بالقوة المميزة للسيطرة على القوة المتخيلة فتؤدى عملها باتقان وجودة(١).

وبالمقارنة بين تعريف الخيال الذى طرحه حالى لأول مرة بمفهومه الحديث فى الشعر الأردى وبين تعريف كولردج يتضح أن حالى لم يستوعب جيداً نظرية كولردج فى الخيال، إما لصعوبتها أو لعدم ترجمة هذه النظرية إلى الأردية ترجمة دقيقة.

وفيما مضى استعرضت أهم القضايا التى تأثر حالى بها من النقد الغربى وهى بالطبع أقل من تأثره بالنقد العربى ولعل ذلك يرجع إلى عدم معرفة حالى للغة الإنجليزية مما جعله يرجع إلى الكتب المترجمة إلى الأردية وكانت ترجمات رديئة لعدم استيعاب اللغة الأردية الوليدة للمصطلحات النقدية الحديثة فى اللغة الإنجليزية علاوة على أن الكتب المترجمة هذه كانت كتباً مدرسية خاصة بالمقررات والمناهج التعليمية فلم يكن من بينها كتاب نقدى مشهور يستطع حالى عن طريقه الإطلاع على النظريات النقدية فى الغرب وخاصة الكلاسيكية والرومانسية وغيرها من المذاهب الأدبية فى الشعر والنقد التى كانت شائعة فى أوربا آنذاك ولربما كان قد أدخل العديد من هذه الأفكار والنظريات إلى النقد الأردى لأول مرة ولكانت مقدمة شعر وشاعرى أكثر عمقاً وتأصيلاً.

ولو أن حالى كان يعرف الإنجليزية جيداً لأتيحت له الفرصة كاملة للإطلاع على منابع الثقافة الإنجليزية وكتب النقد والأدب الإنجليزية بصورة أفضل، ولربما كان يتأثر أكثر بالقضايا النقدية، لذلك لا نلوم حالى على عدم إدراكه للنظريات النقدية الغربية بصورة جيدة، بل وعكسه لمفهومها أحياناً فيذهب عكس ما تريد أو تقصد، لذا كان التأثيرُ العربى أقرب إلى نفسية حالى فثقافته عربية بالإضافة إلى أن الشعر الأردى متأثر بالشعر العربى فى أوزانه وقوافيه وموضوعاته وفنونه.

لذلك يجب علينا ألا نحكم على نقد حالى بالمعايير النقدية الحديثة لأنه على الرغم من سذاجة بعض الأفكار التى وردت فى مقدمة شعر وشاعرى وبساطتها بالنسبة لنا الآن، إلا أنها كانت جديدة ورائدة فى عصره ويكفيه فضل إثارة هذه القضايا المختلفة في الشعر الأردى وطرحه لفكره التجديد فى الشعر الأردى من حيث الشكل والمضمون والوزن والقافية وأهمية الخيال ومقارنته بين الشعر والفنون الجميلة، بالإضافة إلى تناوله لنظرية «الفن للمجتمع» ولنظرية «المحاكاة» التى كانت بمثابة الأسس الثابتة التى انطلقت منها جميع الدراسات النقدية الحديثة فى الشعر الأردى بصفة خاصة وفى الشعر بصفة عامة.

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى، ص ٣٣، ٣٤.